

فالكلمات - إذا - هي علم الله ذاتياً وصفاتياً وواقعياً، لفظياً ومعنوياً، تكوينياً وتشريعياً، وليست لهذه المجموعة - ككل - حد ولا نهاية، مهما كانت نعمه حسب المنعم عليهم محدودة، وهي أيضاً كما الكلمات لا تحصى، وقد تكفي كلمة «كن» مثلاً لهذه السعة المعجزة، ولا سيما ما بالإمكان أن يتلون به، فلا حد لها محدوداً ولا عدّ معدوداً، فلو أن الأقلام كلها بثمانية أضعاف من مداد البحر كتبت هذه الكلمات لما نفذت ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقضية عزته الطليقة وحكمته، هي اللامحدودية في كلماته الإلهية، واللامحسورية في كلماته الربانية بحصار الكتابات التي هي أيضاً بوسائلها والكاتبين لها من كلمات الرب.

وعلى ﴿قَالَ أَنْ نَفَدَ كَلِمَتِي رَبِّي﴾ تلمح إلى أنها محدودة ولكنها لا تنفذ، ولكن ﴿مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ لا تلمح إلى نفاذها، حيث النفي هنا أعم من ذلك دونما هناك.

أجل، وكما يتوارى كل شيء إلا الله، كذلك تتوارى الأشجار والبحار، وتنزوي الأحياء والأشياء ولا تتوارى كلمات الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ كما لا يغلب في ذاته كذلك لا يغلب في كلماته.

= أخذت عليكم وبالتوراة التي أنزلت على موسى ما تجدون في التوراة؟ قال: لولا أنك نشدتنى بما نشدتنى به ما أخبرتك، أجد فيها الرجم، ففضى عليهم النبي ﷺ فقالوا: صدقت يا محمد عندنا التوراة فيها حكم الله فكانوا فسب ذلك لا يظفرون من النبي ﷺ بشيء قال فنزل على النبي ﷺ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] فاجتمعوا في ذلك البيت فقال رئيسهم يا معشر اليهود لقد ظفرتم بمحمد فأرسلوا إليه فجاء فدخل عليهم فقالوا يا محمد، ألسنت أخبرتنا أنه أنزل عليك ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣] ثم تخبرنا أنه أنزل عليك ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهذا مختلف، فسكت النبي ﷺ ولم يرد عليهم قليلاً ولا كثيراً، قال ونزل على النبي ﷺ ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وجميع خلق الله كتاب وهذا البحر يمد فيه سبعة أبحر مثله فمات هؤلاء الكتاب كلهم وكسرت هذه الأقلام كلها ويبست هذه البحور الثمانية وكلام الله كما هو لا ينقص ولكنكم أوتيتم التوراة فيها شيء من حكم الله قليل فأرسل النبي ﷺ فأتوه فقرأ عليهم هذه الآية فرجعوا مخصومين بشر﴾.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨):

آية يتيمة بين أي المعاد تجعل خلق الجمع وبعثهم كنفس واحدة في خلقها وبعثها، وعلها إجابة فيما تعنيه عن السؤال: كيف يحشر الجميع وقد خلطت أجزاؤهم مع بعض، فضلت كل نفس في الآخرين، كما قالوا: ﴿أءَذَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (١٠) قُلْ يَتُوقَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ (١).

فالجواب: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ أمام الحبيطة العلمية والقدرة الإلهية، إذ لا تضل نفس في أنفس الآخرين عن علم رب العالمين مهما ضلت عن سواه، فكما أنه تعالى خلق كل نفس ثم يبعثها كما خلق، وهو أهون عليه، كذلك يبعثكم ليوم الجمع كما خلقكم أول مرة، وذلك أهون عليه، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أقوالكم ﴿بَصِيرٌ﴾ بأحوالكم روحية وجسمية، فلا يفلت عنه فالت ولا يعزب عن علمه عازب، فعلمه لازب كل معلوم، وقدرته لازبة كل مقدور.

إنه تعالى لا يختلف في خالقيته القليل والكثير، والسهل والعسير، لأنه على كل شيء قدير.

لقد ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٢) على توالي الدهور والأنسال وفق الحكمة الربانية، ثم يبعثكم جميعاً في ساعة واحدة قضية العدالة في الحكمة (٣)، دون رحلات الأجنّة، ولا انتسالات مترتبة، فإنهما لدى الله سيان، بل

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) نور الثقلين ٤: ٢١٦ عن تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في الآية: بلغنا والله أعلم أنهم قالوا: يا محمد خلقنا أطواراً: نطفاً ثم علقتنا ثم أنشأنا خلقاً كما تزعم ونزعم أنا نبعث في ساعة واحدة فقال الله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

والبدء أياً كان أصعب - لو صح التعبير - وليس إلا تنازلاً في التعبير:  
﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>:

هذه وتسع أخرى عشرة كاملة تحدث عن إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل، وهي تدل على كروية الأرض، لولاها لكانت الأرض كلها ليلاً أم كلها نهاراً فلا مجال لولوج كلٍّ في الآخر.

ثم ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ﴾ في شروقات وغروبات مختلفة حسب مختلف أيام السنة، في الآفاق الأرضية، بما يتحقق معه الولوجان ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة الكبرى، أو ليس الله الذي يجريهما مع سائر الجاريات إلى أجل مسمى، ليجري المكلفين إلى أجلهم المسمى وهم أحق وأحرى؟ إذ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فليجازكم بما عملتم قضية العدل، وإذ لا جزاءً وافيةً هنا فليكن هناك.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٣)</sup>:

﴿ذَلِكَ﴾ العظيم العظيم، الكثير الكثير من البراهين الساطعة من الآيات الآفاقية والأنفسية التي تحلّق على الكائنات كلها، دالة على وجوده تعالى وتوحيده وكمال ربوبيته ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ بكل ما للحق من معنى: ثبوتاً ضرورياً لا بدء له ولا ختام، وثبوتاً لكل شؤون الألوهية والربوبية، وثبوتاً لكل استحقاقات واختصاصات المعبودية.

و﴿ذَلِكَ﴾ الصغير الصغير، الجافي الهزيل من كل دليل مما يدعون من

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

دونه، إنه هو الباطل بكل معاني البطلان كوناً وكياناً ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ فلا يسامى أو يساوى ﴿الْكَبِيرُ﴾ فلا يوازي.

فكل حق يملك من البرهان ما يحققه قدره، وكل باطل هو صفر اليد عن أي برهان يثبت، بل ويطله، ولأن الله هو الحق المطلق، فحق للكائنات كلها أن تكون معسكر البراهين الدالة على حقه دون قصور ولا فتور.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣١):

«نعمت الله» هي التي تجري بها الفلك على طول الخط، من الرياح التي تجري السفن الشراعية، ومن البترول والكهرباء وسائر الوسائل المكتشفة، حيث الكل نعم الله، والعلم الكاشف لها من نعمت الله ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على حقه و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ البعيد الغور ﴿لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

وعلى الآيات هنا هي رقة الماء وخفة الفلك الثقيلة على الماء، وسببية الرياح لجريانها فوق الماء، وسائر الأسباب التي تكشف لكل صبار شكور، ومن الآيات هي الفطرية البارزة ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ...﴾.

ثم للصبر والشكر واجهتان، صبر في البأساء وشكر في السراء وقد يعنيه قوله ﷺ: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر».

ثم صبر في التروك وشكر في الأفعال كما يعنيه قوله ﷺ: «الصوم صبر والأفعال شكر»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدَّيْرِ فَمنَّهُمْ مُقَصِّدًا وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (٣٢):

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ هؤلاء الراكبين في الفلك مؤمنين ومشركين ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٥: ١٦٢ يرويها عن النبي ﷺ.

وهي السحب السوداء الحاملة العذاب كما في ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾<sup>(١)</sup> - ﴿دَعْوُاَ  
 اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ قضية نبوع الفطرة عند تقطع الأسباب ﴿فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ إِلَى  
 الْبِرِّ فَمِنْهُمْ﴾ كقلة قليلة ﴿مُقْنَصِدٌ﴾ في دعوته ودعاءه، باقياً على إخلاصه لله  
 مهما قل أو كثر ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِإِئْتِنَانَا﴾ كهذه الفطرية، واضرابها من عقلية  
 وعلمية وحسية أمأهيه ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدار ﴿كُفُورٍ﴾: مليء بالكفر  
 والكفران.

ف «منهم» هناك تلمح إلى قلة، و ﴿كُلُّ خَتَّارٍ﴾ هنا إلى كثرة وكما هي  
 طبيعة الحال في الناس وحتى في المؤمنين منهم، مهما اختلف شرك عن  
 شرك.

ويا للهول العظيم - وعوداً بالله العظيم - موج يغشاهم كالظلل بسراقة  
 المحيطة بهم من كل جانب، وهم في الفلك كالريشة الحائرة في خضم  
 البحر المائر، مما يعرّي النفوس عن كل حالة مشرقة خاترة غادرة حيث  
 تقطعت الأسباب، فيتجهون عنها إلى رب الأرباب.

هنا يفتح كتاب الفطرة شاءوا أم أبوا، انفتاحاً أتوماتيكياً كما فطرهم الله  
 ليقرواها قراءة خاشعة خاضعة، ويدعوا الله حق الدعوة الخالصة ﴿فَلَمَّا بَجَنَّهُمْ  
 إِلَى الْبِرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾ قاصد قصد الفطرة، دون أن ينجرف بجارف الأمن  
 والرشاء، ومنهم من يجحد ختاراً كفوراً.

هبهم هؤلاء الختارين الكفارين قد ينجون من ظلل البحار هنا، فمن ذا  
 الذي ينجيهم عن ظلل الأخرى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ  
 جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ  
 بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(٢)</sup>:

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٨٩.

جزي عنه: كفى، وهنا قد يجزي والد عن ولده مالا أو حالاً، أم يجزي مولود عن والده حالاً أو مالا، وفي يوم القيامة لا جزاء من أحد وإن كان أقرب الأقارب كالوالد والولد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ لا حول عنه بأي حول ومحاولة ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أن تغفلكم عن الأخرى، أم تحسبونها كما الأولى قد يجزي أحد أحداً أو يجزي عنه ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ وهو الشيطان الرجيم الذي يرأس كل نمروود وليست الحياة الدنيا في حد ذاتها مدمومة، بل هي حسب ما يعامل معها إما حسنة وإما سيئة.

ف «أثبت الناس رأياً من لم يغيره الناس من نفسه ولم تخره الدنيا بتشويقها»<sup>(١)</sup>.

وخير تعريف عادل بالدنيا في قول فصل ما يروى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لرجل سمعه يذم الدنيا من غير معرفة بما يجب أن يقول في معناها: الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها، ونادت بفراقها، ونعت نفسها فشوقت بسرورها إلى السرور، وببلاءها إلى البلاء، تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً، فيا أيها الذام للدنيا والمغتر بتغيرها متى غرتك؟ أممصارع آباءك في البلى، أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى، كم عللت بكفيك ومرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، وتلتمس لهم الدواء، لم تنفعهم بطلبك، ولم تشفعهم بشفاعتك، مثلت لهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاءك، ولا يغني عنك احباءك»<sup>(٢)</sup>.

(١) نور الثقلين ٤ : ٢١٧ عن الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه قال السائل: فأبي الناس أثبت رأياً؟ قال: . . .

(٢) المصدر عن ارشاد المفيد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لرجل سمعه يذم الدنيا . . .

عن علي بن الحسين عليه السلام «حب الدنيا رأس كل خطيئة والدنيا دنيا آن: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة».

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤):

عرض لشطر من اختصاصات العلم والقدرة الربوبية دون اختصاص بها علماً وقدرة، ف ﴿وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ نموذج من خاصة القدرة، والأربعة الأخرى نماذج من خاصة العلم.

فليست الآية لتحصر اختصاصات العلم والقدرة بهذه الخمس وهناك مآت الأمت من الاختصاصات - علمياً وفي القدرة - بالله ذكرت بطيات آيات أخرى، فإنما هذه الخمس إجابة عما سئل النبي صلى الله عليه وآله وكما في قصته الروح واضرابها<sup>(١)</sup> فلا يصدق ما يفترى على رسول الهدى صلى الله عليه وآله إنه «قال» أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾<sup>(٢)</sup> فإن غيب

(١) الدر المنثور ٥: ١٦٩ - أخرج ابن المنذر عن عكرمة ان رجلاً يقال له الوارث من بني مازن بن حفصة بن قيس غيلان جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد متى قيام الساعة، وقد أجدبت بلادنا فمتى تخضب وقد تركت امرأتي حبلى فمتى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا أكسب غداً وقد علمت بأي أرض ولدت فبأي أرض أموت فنزلت هذه الآية، وفيه أخرج ابن مردويه عن سلمة ابن الأكوع قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله في قبة حمراء إذ جاء رجل على فرس فقال: من أنت؟ قال: أنا رسول الله، قال: متى الساعة؟ قال: غيب وما يعلم الغيب إلا الله، قال: ما في بطن فرسي؟ قال: غيب وما يعلم الغيب إلا الله، قال: فمتى تمطر؟ قال: غيب وما يعلم الغيب إلا الله.

(٢) المصدر أخرج أحمد والطبراني عن ابن عمران النبي صلى الله عليه وآله قال: . . وفيه أخرج مثله ابن مردويه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لم يعلم على نبيكم صلى الله عليه وآله إلا الخمس من سرائر الغيب هذه الآية في آخر لقمان.

فيه أخرج أحمد عن عامر أو أبي عامر أو أبي مالك ان النبي صلى الله عليه وآله بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاء جبرئيل عليه السلام في غير صورته فحسب رجلاً من المسلمين فسلم فرد عليه السلام ثم وضع يده على ركبتي النبي صلى الله عليه وآله وقال له يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن تسلم =

الذات وصفات الذات وصفات الفعل وغيب المعجزات وكثير أمثالها لا يعلمها إلا الله وكما قال الله عنه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتَ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾<sup>(١)</sup> فليست هذه الخمس إلا قسماً من الغيب لا كله.

وهكذا يفسر ما يروى عن الرسول ﷺ من قوله: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله...»<sup>(٢)</sup>.

والغيب هنا يعم غيب العلم والقدرة، فإن ﴿وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ﴾ مفتاحه الأول هو القدرة وعلى هامشه العلم.

وقد يعلم غير الله أشراطاً من هذه الخمس وسواها بوحى الوحي أو العقل والعلم والحس<sup>(٣)</sup> والضابطة العامة هي اختصاص علم الغيب بالله،

= وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت، قال نعم ثم قال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان والقدر خيره وشره، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنتم؟ قال: نعم، ثم قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فهو يراك، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت؟ قال: نعم، قال: فمتى الساعة يا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله خمس لا يعلمها إلا الله ان الله عنده..

أقول: خمس هنا وفي أمثاله يعني شطراً من المصاديق الظاهرة المسؤول عنها كراراً، ولا يعني الحصر فيها فإنه خلاف نصوص من القرآن.

ويشهد لهذا التوجه ما فيه أيضاً عن رجل من بني عامر قال يا رسول الله ﷺ هل بقي من العلم شيء لا تعلمه؟ فقال: لقد علمني الله خيراً وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله الخمس ان الله عنده علم الساعة ف «من» تبعيض فالآية بيان لبعض الغيب الخاص.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) المصدر - أخرج الفريابي والبخاري ومسلم وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: . . . لا يعلم ما في عند الله إلا الله ولا متى تقوم الساعة إلا الله ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله ولا متى ينزل الغيث إلا الله وما تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله أقول: متى ينزل غير مستفاد من ينزل الغيث» الا على هامش القدرة ف «ينزل» فعل وليس - فقط - علماً.

(٣) المصدر أخرج ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن =



اللهم إلا غيب الوحي الرسالي حيث يحمل الأحكام الرسالية، وبعض من سائر الغيب ليس منها هذه الخمس واضرابها المعدودة في الذكر الحكيم، فعلم الغيب الخارج عن واجب الوحي بحاجة إلى برهان أم ضرورة رسالية.

فالأحاديث القائلة إن علياً والحسين عليهما السلام كانا يعلمان مضجعهما، بين مطروحة ومؤولة إلى إجمال دون تفصيل<sup>(١)</sup> وكما يروى عن أئمة الهدى إن هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى.

فقد يعلم رسول أو أمام أو ولي بأي بلد يموت ولكنه ليس ليعلم مضجعه الخاص لمكان الاختصاص بالله فإنه من الخمس المذكورة في الآية.

فطالما يعلم إجمال الأرض التي فيها يموت، لا يعرف تفصيلها، أم يعرف ما في الأرحام - أذكر؟ أم أنثى؟ حي أو ميت؟ صغير أو كبير؟ - بالوسائل الحديثة ولكن لا يعلم ما في الأرحام على التفصيل<sup>(٢)</sup>.

= أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة؟ قال: ما السَّمُولُ عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثكم بأشراطها إذا ولدت الأمة ربنتها فذاك من أشراطها وإذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها وإذا تناول رعاء الغنم في البنيان فذلك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ثم تلا هذه الآية.

(١) نور الثقلين ٤: ٢٢٠ في أصول الكافي بسند متصل عن الحسن بن الجهم قال قلت للرضا عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله في الليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه وقوله لما سمع صباح الأوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم: صليت تلك الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف ان ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف كان هذا مما لا يحسن تعرضه؟ فقال: ذلك كان ولكنه خير في تلك الليلة لتمضي مقادير الله تعالى.

وفيه عن مقتل الحسين لأبي مخنف: وأن الحسين لما نزل كربلاء وأخبر باسمها بكى بكاء شديداً وقال: أرض كرب وبلاء، قفوا ولا تبرحوا وخطوا ولا ترحلوا، فههنا والله محط رحالنا وههنا والله سفك دماننا وههنا والله تسمى حريمنا، وههنا والله محل قبورنا، وههنا والله محشرنا ومنشرنا بهذا اعدني جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في وعده.

(٢) المصدر في أمالي الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد المسير إلى النهروان =

﴿الْأَرْحَامِ﴾ هنا طليقة فلا تختص بأنثى الناس، بل الجنة والناس وسائر ذوات الأرحام، من الحيوان والنبات بل والجماد، بل والأرض كلها فإنها تحمل من صنوف الكائنات الحية والميتة، وتحمل كل الميتات الإنسانية وسواها.

والعلم البالغ ما بلغ في معرفة الأجنة الإنسانية لا يحيط خبراً بما هو في الأرحام في كل لحظة وفي كل طور من فيض وغيض: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾<sup>(١)</sup>.

ذلك العلم لم يصل إلى ما ليس به جرم ظاهر وحجم، ولا نوعية من ذكورة وأنوثة حين لا يملك أحد أن يعرف عن ذلك شيئاً في اللحظة الأولى لاتحاد الخلية والبويضة، ولا ملامح الأجنة وخواصها وحالاتها واستعداداتها، ولا أنها تموت في الأرحام أم تولد حية، ولا ملامح الأرواح

= أتاه منجم فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة وسرف في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ولم ذاك؟ قال: لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبت كلما طلبت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام تدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت، قال له أمير المؤمنين عليه السلام من صدقك على هذا القول كذب بالقرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ [لقمان: ٣٤] - «ما كان محمد يدعي ما ادعيت» فيه عن نهج البلاغة يؤمي به إلى وصف الأتراك: كآني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق ويكون استمرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلة أقل من المأسور فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين عليه السلام علم الغيب؟ فضحك عليه السلام وقال للرجل - وكان كلبياً - يا أبا كلب ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب غيب الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ [لقمان: ٣٤] فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسخي أو بخيل وشقي أو سعيد ومن يكون للنار حطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه عليه السلام ودعا لي أن يعيه صدري ويضطم عليه جوارحي» أقول: «ما سوى ذلك».. مطروح أو مخصوص بما سوى ذلك أضرا به من علم الغيب كما في صدر الحديث.

(١) سورة الرعد، الآية: ٨.